

قراءة في كتابي التذكرة الفخرية والتذكرة السعدية
- دراسة وصفية -

أ.م.د. علي عيسى محسن

ali_almaliki@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية

الملخص

يحتل الاختيار الشعري ركناً بارزاً في مخيال القارئ العربي، فقد وجهت كتب الاختيارات الكبرى مثل المفضليات والاصمعيات والحماسات دفة الذائقة الشعرية العربية زمنياً طويلاً، وظهرت بعدها التذكرة الشعرية التي سارت على خطى كتب الاختيارات، وتعد التذكرتان الفخرية والسعدية خير نموذج للاختيار المتأخر، وهما على طرفي نقيض فالتذكرة الفخرية تميل إلى الشعر المحدث والمتكلف وتستعين بالفنون الشعرية المعربة كالمواليا والموشح والدوبيت في ظل رؤية نقدية واضحة، فيما تميل التذكرة السعدية إلى الشعر المحافظ ولا تمتلك حساً نقدياً واضحاً.

وتتمثل أهمية الكتابين في كون التذكرة الفخرية انعكاس لتطور الحساسية الشعرية والنقدية المتأخرة باتجاه الشعر المتكلف والفنون الشعرية المعربة، أما أهمية التذكرة السعدية فتكمن في احتفاظها بمئات الاختيارات الشعرية من حماسيتين مفقودتين لأبي هلال العسكري وابن فارس.

كلمات مفتاحية : كتب الاختيارات الشعرية، التذكرة الفخرية، التذكرة السعدية

Reading in my books Al-Tadhkira Al-Fakhriyya and Al-Tadhkira Al-Saadiyya - A descriptive study

Asst. Prof . Ali Issa Muhsen (Ph.D.)

Mustansiriyah University, College of Arts, Department of Arabic Language

Abstract

Poetic selection occupies a prominent place in the imagination of the Arab reader. The major selection books such as Al-Mufaddaliyat, Al-Asma'iyat, and Al-Hamasat have guided the Arab poetic taste for a long time. After that, poetic tickets appeared that followed in the footsteps of the selection books. The two tickets, Al-Fakhriyya and Al-Sa'diyya, are the best example of the late selection. They are on opposite sides. The Fakhriyya ticket tends toward modern and elaborate poetry and uses the Arabic poetic arts such as the Mawaliyya, the Muwashshah, and the Dubayt in light of a clear critical vision, while the Sa'diyya ticket tends toward conservative poetry and does not possess a clear critical sense.

The importance of the two books lies in the fact that (altadhkira Al-Fakhriyya) is a reflection of the development of late poetic and critical sensitivity towards elaborate poetry and Arabic poetic arts, while the importance of the (altadhkira Al-Sa'diyya) lies in its preservation of hundreds of poetic selections from two lost Hamasas by Abu Hilal al-Askari and Ibn Faris.

Keywords : Poetry choices books , altadhkira Al-Fakhriyya , altadhkira Al-Sa'diyya

• مقدمة

يرتبط العرب مع الشعر بعلاقة وجودية ، فقد حدد الشعر الاطار العام لكيونتهم ورسم ملامح حركتهم ونظرتهم للحياة، وقد ترجم العرب هذه الارتباط الوجودي الى ثقافة حاكمة تُسير شؤون الحياة ، فكان صدى الشعر يتردد في المحافل والفلوات وتسير به الركبان، ومن ثم أصبح ركن الزاوية في استحضار تاريخ العرب وتقعيد علوم اللغة العربية .

وكان تدوين هذا الشعر ضرورة ملحة في منتصف القرن الثاني الهجري خشية ضياعه ومخافة فساد الألسن وخدمة لعلوم القرآن والحديث الشريف ثم لتقعيد علوم العربية، فظهرت فكرة الاختيارات الشعرية ومنها المعلقات والمفضليات والاصمعيات وهي اختيارات عامة غير مبنية، وجاء ابو تمام بفكرة الحماسات وبوبها بموضوعات محددة ابرزها الحماسة وسار كثر على منواله كالبحتري وابن الشجري والبصري، وظل الشعر الجاهلي والاسلامي عماد هذه الاختيارات، واللافت هنا ان فكرة الاختيارات سبقت جمع دواوين الشعراء المنفردة ودواوين القبائل، ولم يقتصر الاهتمام بالشعر على كتب الاختيارات بل تعداه الى كتب الادب العامة مثل كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن عبد ربه والتوحيدي وابن سعيد المغربي وغيرهم ، وبموازاة ذلك كله ظهرت كتب التذاكر الأدبية متأخرة نسبياً وسنفضل القول فيها .

وقد ورد مصطلح (التذكرة) تسع مرات في سور القرآن الكريم بمعنيين الاول هو الذكر وهو بخلاف النسيان والآخر هو الوعظ ، ومن ذلك قوله عز وجل { لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذنٌ واعية } (سورة الحاقة ، الاية 12) ولم تخرج المعاجم العربية بغير هذين المعنيين (بدري، 2017 ، ص 212) ، ويذكر حاجي خليفة عشرات المصادر العربية والفارسية والتركية التي تحمل عنوان (التذكرة)، ولكن أقدمها على الاطلاق كتاب (التذكرة) لأبي علي الفارسي ويلوح للقارئ ان الكثير من هذه العناوانات عامة وغير دقيقة وضعها مَلَأك المخطوطات أو نساخ مبتدئون على أغلفة كتب سقطت عنها الاغلفة أو طُمت عنواناتها حالها في ذلك حال الأمالي، فنجد مثلاً تذكرة ابن الشعار وهو الكتاب المعروف ب(قلاند الجُمان في فرائد شعراء هذا الزمان) أو (عقود الجُمان) ، ونجد تذكرة ابن البيطار والصواب انه كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ، ونجد تذكرة الدميري وهي (حياة الحيوان الكبرى) (حاجي خليفة، 1999 ، 383/1) ، ومعنى هذا ان التذكرة مصطلح فضفاض يدل على (مُفيدات مُرسلة لا يضبطها ضابط، تقف فيها الموعظة الى جانب النادرة ، الى جانب الفائدة العلمية، الى جانب التجربة الذاتية) (ابن حمدون، 1996 ، 11/1) .

اما التذاكر الادبية فقد ترسخت أقدامها بفضل تذكرة ابن حمدون وهو من أعيان التصانيف الأدبية، وقد جمع بين الاختيارات الشعرية والنثرية، ويقع في خمسين باباً ويحوي الباب الواحد فصلاً متعددة، ويحوي خليطاً من موضوعات دينية واخلاقية وأدبية، ولايختلف كثيرا عن بصائر التوحيدي (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية ، 1996 ، 12/1) أو عقد ابن عبد ربه، ويبدو أن كل من البهاء الإربلي صاحب التذكرة الفخرية والعبدي صاحب التذكرة السعدية قد طورا فكرة ابن حمدون في اطارها العام وصنفا كتابيهما، أما المضامين والتوجهات فتختلف بين الكتابين، حتى نكاد نقول ان لاشيء يجمع بينهما الا تشابه الاسم وتأخر الزمن.

• البهاء الاربلي والتذكرة الفخرية

نشأ بهاء الدين علي بن عيسى المعروف بالْمُنْشَىء الإربلي في مدينة إربل (الصفدي و الكتبي، 1991 ، 378/21 ، 1974 ، 57/3) ، وكان والده فخر الدين الإربلي حاكماً للمدينة وقد تولى بهاء الدين ديوان الانشاء بها مدة ، ثم انتقل الى بغداد سنة 660هـ ليلتحق بخدمة الوزير والمؤرخ الشهير علاء الدين عطا ملك الجويني حاكم العراق للمغول وأخيه شمس الدين محمد الجويني ويعمل حينها في ديوان الانشاء .

ويلتقي في البلاط بفخر الدولة منوچهر بن أبي الكرم الهمداني نائب عطا ملك ، ويطلب منه فخر الدولة تصنيف كتاب التذكرة سنة 671هـ : (طلب أن اجمع له مجموعاً مشتملاً على معانٍ من الأشعار ولُمعٍ من محاسن الأخبار، ليشرفه بمطالعتة، وينوب عن

حضورى إذا غبت عن خدمته ... فلبيت دعوته حيث ناداني، ومريت خُلف القريحة فدرّ وأتاني... وقد استخرتُ الله في جمع هذا المجموع وجعلته أوصافاً وسميتهُ : (التذكرة الفخرية) (الاربلي، 2004 ، ص 31) .

ويترك الاربلي ديوان الانشاء عام 687هـ وينزوي في داره المطللة على نهر دجلة ، حتى يدركه الأجل المحتوم عام 692هـ .
ويسير المصنف على سكة كتب الأدب العامة في اختيار جملة موضوعات وإيراد كل مايتعلق بها من نظم ثم إيراد المعاني المطروقة والمتقاربة التي يأخذ بعضها برقاب البعض الاخر، وهو الأمر الذي سارت عليه العديد من كتب النقد والأدب ويعكس طول باع البهاء وتمرسه في الشعر، ولم يترك المصنف معنى شعرياً طريفاً الا وقد أورد ما يضاويه من السوابق واللواحق فمن ذلك قوله (ومن الأخذ الواضح والسرققة التي تتادي على صاحبها ما أخذه المنتبى من جرير في قوله ، وهو من الشعر الجيد في الغاية :

فيومانٍ من عبد العزيز تفاضلا ففي أي يوميه تلوّم عـــــــواذئهُ

فيومٌ تحوُّطُ المسلمين جياده ويومٌ عطــــاءٍ ماتعُبُ نوافله

فلا هو في الدنيا مضبِعٌ نصيبهُ ولاعرض الدنيا عن الدين شاغله

(جرير، 1986، ص 349) فقال المنتبى :

فيومٌ بخيلٍ تطرد الروم عنهمُ ويومٌ بجودٍ يطرد الفقر والجديبا

(المنتبى ، 1986 ، 1/188) فانظر الى هذا النظم وهذه السرققة الواضحة) (الاربلي، التذكرة الفخرية، 2004 ، ص 98).

ولاتعوز الاربلي الصراحة في هذا المضمار فقد أقر أكثر من مرة أنه أقتبس بعض معانيه من شعراء سابقين ومن ذلك مثلا قول الشريف الرضي :

(بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وثقى يضمنا الشوقُ من فرجٍ الى قدم

وبات بارقُ ذاك الشجر يُوضخُ لي مواقع اللثمِ في داجٍ من الظلم

(الشريف الرضي، 1949 ، 2/274) ... وللغزى مثل بيت الرضي الثاني :

حتى اذا طاح عنها المرطُ من دَهشٍ وانحلَّ بالصمِّ نظمُ العقدِ في الظلمِ

تبسمتُ فأضواء الليلِ فالتقطتُ حبّاتٍ مُنتثرٍ في ضوءِ مُنتظمِ

(الغزى، 2008، ص 577) ... واخذتُ معنى بيت السيد الرضي الاول فقلت :

بتنا حليفي هوى في عفةٍ وثقى وليس الا صبــــاباتٍ وأشواقِ

يبئُ كل امرئٍ منّا لصاحبه حتى بدا من ضياء الصبِحِ اشراقِ) (الاربلي، التذكرة الفخرية، 2004 ، ص 73) .

وقد استفد الاربلي كتابه بمثل هذه الالتفاتات مبينا طول باعه في المعاني الشعرية ، فلا يخلو باب من الابواب من التتقيب عن

المعاني، وقد قسم الاربلي كتابه الى ثمان أوصاف (أبواب) وهي :

1- وصف في الشباب والخضاب والمشيب .

2- وصف في الغزل والنسيب .

3- وصف في الخمرة ومجالسها وما يناسبها من الغناء والمغنين ووصف الربيع والأزهار .

4- وصف في الغناء .

5- وصف في الربيع والازهار ووصف الانهار والطيور .

6- وصف في السحاب والغيث والبرق والمياه .

7- وصف في الليل والنجوم والمجرة والهلال والصبح والشمس .

8- وصف في المدح والفخر والتنهاني .

• منهج الكتاب وسماته

اقتبس البهاء الاربلي جُل موضوعات كتابه من التذكرة الحمدونية (ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1996 ، 27/1) ، وحتى وإن كانت موضوعات الكتاب في الأوصاف ولكنها تختلف جذرياً عن مضامين كتابي التشبيهات لابن أبي عون الكاتب وابن الكتاني الطبيب، ويمكن ايجاز منهج التذكرة الفخرية وسماته بما يأتي :

1- يمكن تقسيم جهد المصنف في التذكرة الى ثلاثة أقسام ، الأول: جهد كبير تمثل في وقوفه الطويل عند بابي الغزل والنسيب، والخمر، ويشكلان أكثر من ثلثي الكتاب، وفيهما الملاحم النقدية التي تتمثل بايراد المعاني المأخوذة ، والثاني : جهد قليل تمثل في وقوفه عند وصف الغناء، والربيع، والمدح وهو أقل من السابق بكثير في عدد الاختيارات والملاحم النقدية، والثالث : ليس فيه سوى جهد الاختيار، ويتمثل في أوصاف المشيب والشباب، والسحاب، والليل وقد مر عليها مرور الكرام .

2- اصطفى الشاعر لنفسه (83) قصيدة ومقطوعة في الكتاب ، منها (61) في بابي الغزل والخمر ، وهكذا يمكن عد التذكرة معرضاً لشعر المؤلف ومقارنته بغيره من الشعراء .

3- فرضت موضوعات الابواب نمطاً معيناً من الاختيارات ، فالابواب الخاصة بوصف الطبيعة مثلا مالت الى الاختيارات العباسية، وابواب الغزل مالت الى الشعر الاموي، باب وصف الليل عباسي ، المديح عباسي ،

4- مالت كفة اختيارات المؤلف الى الشعراء العباسيين ممن عاشوا بين القرنين الثاني والخامس الهجريين مثل مروان بن ابي حفصة ومسلم بن الوليد وابي نواس وابي تمام وابن الرومي والبحتري وابن المعتز والمتنبي والسري الرقاء وكشاجم والشريف الرضي ومهيار النديمي والمعري، ويليهام الشعراء العباسيون المتأخرون والايوبيون الذين عاشوا بين القرنين السادس والسابع الهجريين مثل سبط ابن التعاويذي وابن الاردخل وابن الساعاتي والبهاء زهير وابن منير وابن مطروح وابن النبيه وابن غزي والحاجري ، ثم شعراء العصور المتأخرة مثل ابن الحلوي وابن زيلاق وابن الظهير الاربلي ويوسف بن لؤلؤ ، ثم الشعراء الامويين مثل كثير عزة وعمر بن أبي ربيعة وجريير وذو الرمة، ثم شعراء الجاهلية مثل امرئ القيس والاعشى والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت .

5- تعصب الاربلي كثيرا لشعراء مدينته إربل وشعراء الموصل فاختار لهم مئات المقطوعات وترجم للكثير ممن عاصروهم ومنهم السري الرفاء وابن الاردخل وحسام الدين الحاجري الاربلي وابن المستوفي وابن الخباز وابن الحلوي وابن غزي وابن زيلاق وابن الظهير الاربلي وغيرهم .

6- لا يوجد تدرج تاريخي في الاختيارات، الا فيما يتعلق بالمعاني التي يأخذها الشعراء عن سابقهم .

7- نهل الاربلي من مصادر كثيرة كانت بين يديه مثل ديوان المعاني لأبي هلال العسكري والتذكرة الحمدونية .

8- تحاشى المصنف الولوج الى بعض الاتجاهات الفنية الشائعة في عصره، مثل المدائح النبوية التي راجت كثيرا ، فلم نجد ذكرا لأكبر شاعرين فيها وهما ابو زكريا الصرصري وشرف الدين البوصيري ، مع أن مديحهما النبوي كان مستهلاً بمقدمات غزلية وخرمية يشار لها بالبنان .

9- يصرح الاربلي بتفضيله لأشعار المعاصرين له الا فيما ندر بالقول (وقد ملئت في أكثره الى أشعار المُحدثين من أهل العصر الا ماقل من أشعار القدماء وما لم أر للمعاصرين فيه شيئاً، فالضرورة تدعوني الى استعمال اشعار المتقدمين فيه ورغبني في أشعار المتأخرين قرب متناول معانيهم وسلامة ألفاظهم وتناسبها وحسن مذهبهم في تلطيف الألفاظ والمعاني ورشاقة السبك وإصابة الغرض وتجنب حوشي اللغة ووحشيتها ليكون ذلك أدعى الى الرغبة فيه وأنسب الى ماقتضته الحال التي جمع لها، وأبقى بطباع أهل العصر ولأن الجيد من أشعار الجاهلية ومخضرمي الاسلام ومخضرمي الدولتين والمحدثين لا يخلو منها كتاب او مجموع، وان المصنفين لم يغادروا منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها) (الاربلي، التذكرة الفخرية، 2004، ص 31) ، وهذا الميل الى الأشعار العصرية مفهوم لأن صاحبه شاعر يظهر على نظمه التكلف والصنعة (الاربلي، التذكرة الفخرية، 2004 ، ص 12) ، وهما بضاعة الشعراء

وقد ألم الأربلي بجملة من أعلام الشعراء المتأخرين مثل سبط ابن التعاويذي وتاج الدين ابو اليمن الكندي وصفي الدين منصور الأربلي وابن المستوفي وابن الحلوي و ابن ابي الحديد و ابن غزي وابن الخباز و ابن الاردخل وابن عبدوس و حسام الدين الحاجري والبهاء زهير وعز الدين الحسن بن علي الأربلي وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ و ابن سناء الملك وابن الفارض وغيرهم (الأربلي، التذكرة الفخرية، 2004 ، ص 38 و 39 و 40 و 64 و 69 و 91 و 103 و 109 و 113 و 118 و 119 و 133 و 137 و 143 و 163 و 215 و 239)، مايعني ان الأربلي صوّب الاتجاه الشعري المتأخر على الرغم من آي الضعف الظاهرة على مُحيا هذا الشعر (العبود، 1976 ، ص 318) .

• العبيدي والتذكرة السعدية

يُنسب كتاب (التذكرة السعدية في الأشعار العربية) الى عماد الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي التبريزي، وهو شخصية مجهولة الى حد بعيد عاشت بين مدينتي مراغة وتبريز في القرنين السابع والثامن الهجريين، وقد تلقى تعليماً دينياً وامتاز بخطه الجميل، ولاتعرف سنة وفاته بالتحديد ولكنه توفي في مطلع القرن الثامن الهجري (ابن الفوطي و العبيدي ، 11965 ، 144/2 ، 2001 ، ص (ي)) .

وقد وضع العبيدي كتابين في الاختيارات الشعرية امتثالاً لطلب الوزير سعد الدين محمد بن علي الساوجي أحد أعيان الدولة الايلخانية (العبيدي، 2001 ، ص 8)، اذ يقول في مقدمة التذكرة : (فقد سبق مني جمع كتاب مشتمل على لطائف أشعار المُحدثين من النسيب، محتوٍ على نخب من سمح خواطرمهم في الغزل والتشبيب وسميته ((النزهة السعدية في الاشعار العربية))) (العبيدي، التذكرة السعدية، 2001 ، ص 10) ويبدو أن النزهة صادفت قبولاً لدى الوزير وحاشيته فطلب منه تصنيف كتاب آخر (فالتمسوا مني أن أجمع مجموعة متضمنةً لطائف شعر المتقدمين، وطرائف قريض الجاهليين والمخضرمين، في فنون شتى ... مضيفاً اليها لطائف أشعار المُحدثين، وطرائف قريض المتأخرين في آخر كل باب، سالماً طريق الاختصار دون الاطناب، وأضم اليها أبواباً آخر في أصناف الشعر ... وسميتها ((التذكرة السعدية في الأشعار العربية))) (العبيدي، التذكرة السعدية، 2001 ، ص 10).

ولعل المقصود بقريض المتأخرين معطوفة بأشعار المُحدثين هو الشعر المولّد خصوصاً والعباسي عموماً، وهو بهذا القيد يعزف عن الشعراء المصريين والمغاربية والاندلسيين الى حد بعيد، مترسماً التقليد الأدبي المتأخر الذي يقسم الوجود العربي الى مشرقى ومغربى كما هو حال ابن سعيد المغربي (685هـ) في كتابيه (المُشرق في حلى المُشرق) و(المُغرب في حلى المُغرب)، وحال ابن فضل الله العمري (749هـ) في موسوعة (مسالك الابصار) وغيرهما ، وهكذا فإن اختيارات العبيدي - خارج الحماسات - مقتصرة على شعراء المشرق وتشمل العراق والحجاز وبلاد الشام وبلاد العجم، ويقصد ببلاد العجم مدن وأقاليم مختلفة نمت فيها الثقافة العربية وابتعت مثل خراسان واصبهان والاهواز وجرجان وطبرستان وبخارى ونيسابور وخوارزم وبُست وسمرقند وغيرها، وقد اعتمد العبيدي على بيتمة الثعالبي في ايراد اشعار شعراء هذه المدن بالملق.

ويبدو ان الاصرار على تسمية (الأشعار العربية) في الكتابين يوحي ان المصنف كان متقناً للغة الفارسية وربما يكون صنف كتاباً أو اكثر عن الشعر الفارسي .

وفيما يتعلق باختيار المصنف للشعراء المتأخرين القريبين من عصره فقد انتقى لحسام الدين الحاجري سبع نماذج شعرية متميزة في باب النسيب منها مثلاً قوله :

(شرحُ الشبابِ بحبكم أفنيتهُ والعمرُ من كلفى بكم قضيتهُ
وأنا الذي لو مر بي من نحوكم داعٍ وكنــــتُ بحفرتي لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم حسبُ بأيام الحيااة شريته
قالوا حبيبك بالتجني مسرفُ قاسٍ على العشاق قلتُ فديته
أروم من كلفى عليه تخلصاً لا والذي بطحاء مكة بيته) (العبيدي والحاجري، 2001 ، 277 و 2003 ، ص 168)

وانتقى للشاعر الايوبي البهاء زهير ست نماذج من باب الاخوانيات وعشر نماذج من باب النسيب ومنها قوله :

(أفدي حبيباً لسانی ليس يذكره خوف الوشاة وقلبي ليس ينسأه
سميتُ غيرك محبوبي مغالطهً لمعشر فيك قد فاهوا بما فاهوا
أقولُ زيْدٌ وزيْدٌ لسْتُ أعرُفه وإنما هو لفظٌ أنت معناه
وكم ذكرتُ مسمًى لا اكترأث به حتى تجرّ الى ذكراك ذكراه) (العبيدي و البهاء زهير، التذكرة السعدية

والديوان، 2001، ص 280، و 1982، ص 286).

وعند التمعن في اسباب اختيارهما يسعفنا ابن خلكان بالقول ان ديوان الرجلين كثير الوجود بين أيدي الناس (ابن خلكان، 1978، 363/2 و 503/3)، وذلك دليل على جودة النظم وذيوع الصيت، ويمثل البهاء زهير استثناء من القاعدة التي الزم العبيدي نفسه بها .

ضاعت (النزهة) ولم تصل ووصلت (التذكرة) وحققتها المحقق الكبير الدكتور عبد الله الجبوري ونشرها أكثر من مرة، وصنع المحقق الدكتور عباس هاني الجراح مستذكراً نشره عام 2023 ذكر فيه الأغلاط الطباعية ومافات على المحقق من ملاحظات وتخرجات، فمما أخذه صانع المستدرك على المحقق مثلا الابيات التي نسبها الى صفوان الاندلسي وهي :

لك الخير عرج بي على ربعهم فذي ربوعٌ يضوع المسك من عرفها الشذي
وذا ياكليم الشوق وإد مقدس به الحب فاخلع ليس يمشيه محتذي
وقفنا فسلمنا على كل منزل تلذذُ فيه العين أي تلذذ
وماشاقني إلا ادكار مجددي لأحزان قلب بالفرق مجدذ

(العبيدي م.، التذكرة السعدية، 2001، ص 284)، وقد أغفل محقق التذكرة السعدية تخريج الابيات وهي ليست لصفوان الاندلسي، وقد وردت في التذكرة الفخرية منسوبة لابن مطروح وليست في ديوانه و للوجيه ابن الذروي في وفيات الاعيان (الجراح، 2023، ص 373)، وربما تكون هذه الاشارة دالة على اطلاع العبيدي على التذكرة الفخرية .

وقد أفاد العبيدي في التذكرة من ثلاث حماسات هي حماسة أبي تمام وحماسة أبي هلال العسكري والحماسة المُحدثة لابن فارس (الرحمن، التذكرة السعدية، 2001، ص 10)، والمعروف ان حماستي العسكري وابن فارس مفقودتان ولذلك تكمن الفائدة الكبرى لكتاب التذكرة في احتفاظه بالكثير من اشعار الحماسيين، ويمكن من خلال التذكرة رسم صورة تقريبية لهما، ولذلك لانستغرب ان يُطلق على الكتاب أسم (حماسة العبيدي) (اسماعيل، 1977، ص 124)، لأن أبواب التذكرة هي أبواب الحماسات ذاتها وهي اربعة عشر باباً :

- 1- باب الحماسة والافتخار .
- 2- باب الأدب والحكم والأمثال .
- 3- باب النسيب .
- 4- باب المدح والاستجداء والاستعطاف والتقاضى.
- 5- باب المرثي .
- 6- باب الهجاء .
- 7- باب الاخوانيات.
- 8- باب التهاني.
- 9- باب الاعتذار .

10- باب الصفات .

11- باب المعانيات والشكاية من حوادث الزمان والصبر عليها .

12- باب المُلح .

13- باب الاشياء المنفرقة .

14- باب الدعاء (العبيدي م.، التذكرة السعدية ، 2001 ، ص 11).

ويبدو ان اضافة أبواب الاخوانيات والتهاني والدعاء أتت لاستيعاب اغراض الشعر الجديدة التي نشأت في العصر العباسي والتي ذكرها العبيدي في مقدمة كتابه (اسماعيل، المصادر الأدبية واللغوية، 1977 ، ص 126) .

وإذا كان اختيار حماسة ابي تمام يبدو منطقياً بوصفها أم الحماسات وذات الصيت البعيد في الثقافة العربية، فضلاً عن اعجاب العبيدي اللافت بشعر أي تمام كما سنوضح بعد قليل، فإن اختيار الحماستين العسكرية والمُحدثة يستبطن ابعاداً أخرى تحتاج الى تبصر ، فمن اسباب اختيار العبيدي لهاتين الحماستين نرى ما يأتي :

1- رأى العبيدي أن كلا الحماستين حُكَم عليهما بالخمول وبقيتا طي النسيان مع ما لأبي هلال العسكري وابن فارس من العلم والاجتهاد والتصانيف الباذخة مثل كتاب الصناعتين وجمهرة الامثال ومعجم مقاييس اللغة والصاحبي في فقه اللغة وغيرها ، فأراد اظهارهما لتميز كتابه وتجويده .

2- تبدو العصبية القومية جلية في اختيار الحماستين ، ف كلا الرجلين من علماء العربية القاطنين في بلاد العجم، وأبعد من ذلك سيجد قارئ التذكرة نفسه أمام مئات الأبيات لشعراء من هذه البلاد وقد وردت في بيتمة الثعالبي - التركيز على الثعالبي هنا ربما لأنه نيسابوري الأصل - ومن هذه المئات اختيارات كثيرة جدا لأبي بكر الخوارزمي وللقاضي الجرجاني صاحب (الوساطة) ولأبي الفتح البُستي .

3- ربما يكون العبيدي قد لاحظ الاتفاق الحاصل في أن تصنيف الحماسات الثلاث تم في بلاد العجم فحماسة ابي تمام صنف في همدان بلا جدال، أما الحماسة العسكرية فالظن انها صنف في مدينة عسكر مكرم التابعة لاقليم الاهواز التي عاش فيها العسكري جل سنوات عمره (العسكري، 1985 ، 15/1)، وفيما يخص حماسة ابن فارس فالغالب أنها صنف بين مدينتي همدان والري ومال فيها الى الشعراء المُحدثين (ابن فارس، 1979 ، 3/1).

ويمكن الاستدلال الى جملة من الملاحظات الخاصة بالحماستين العسكرية والمُحدثة بالنظر الى اختيارات العبيدي

لهما :

1- عدد الاختيارات في الحماسة المُحدثة أقل من اختيارات الحماسة العسكرية .

2- يعتمد العسكري في اختياراته كثيراً على كتابي الشعر والشعراء لابن قتيبة والاعاني للصبهاني، فيما يميل ابن فارس في اختياراته الى المفضليات والوحيات والبيان والتبيين وديوان المعاني للعسكري والمؤتلف للامدي .

3- يبدو ان العسكري وابن فارس أكثر ميلاً الى الشعراء المُحدثين من أبي تمام، ومن ثم فقد تجاوزا كثيراً الحد الزمني الذي وضعه علماء اللغة والنحو وهو المعروف بعصر الاحتجاج، وفي الوقت الذي اعتمد فيه هؤلاء العلماء على حماسة أبي تمام بوصفها مصدراً أصيلاً لتقعيد اللغة، غض هؤلاء النظر عن الحماستين فبقيتا رهينة النسيان .

4- يمكن القول باطمئنان ان العسكري سار على هدي أبي تمام واستجلب الكثير من حماسياته ليضعها في حماسته بوصفه أحد الذين شرحوا الحماسة (عسيلان، 1978 ، ص 215)، أما ابن فارس فاتخذ موقفاً معارضاً للعلماء الذي أعلنوا من شأن حماسة ابي تمام، وجاء ذلك في سياق رسالة كتبها بأسلوب الاستفهام الاستكاري دافع فيها أولاً عن الشعر المُحدث (الثعالبي ، 1983 ، 463/3)، ثم كانت له وقفة مع حماسة أبي تمام وشعره (... ولمه جاز أن يُقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجز أن يُؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه

حجرت واسعاً، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً، وسددت طريقاً سالكاً ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحو في مصنفاتهم ... ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا يدري قدره ؟ ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لصاع علمٌ كثير ، ولذهب أدبٌ غزير ... وحتام لا يُسأم

لو كنتُ من مازنٍ لم تسبح إبلي

والى متى

صفحننا عن بني ذهلٍ)

(الثعالبي و الجواليقي ، 1983 ، 464/3 و 1998 ، ص 11) ويتضح من هذا المقطع مدى تيرم ابن فارس من ذبوع الحماسة وتكرار دراستها وشرحها وتردد شواهداها في كتب النحو واللغة، وهو الأمر الذي دفعه - ربما - الى تصنيف حماسته، وهكذا يمكن القول أن ابن فارس نأى بنفسه عن خط أبي تمام .

• موارد الاتفاق والاختلاف بين التذكريتين

1- يظهر ان اللجوء الى مصطلح (التذكرة) في الكتابين يتعلق بمعطيات عديدة، منها أنه مصطلح عصري مستخدم بكثرة في شتى العلوم، قبالة مصطلح أخر اسئُهلِك كثيرا على مدار اربعة قرون هو مصطلح (الحماسة) ، ومنها ان التذكرة السعدية مثلا تم تصنيفها في العهد المغولي لأحد أعيان الدولة المغولية الايلخانية وليس منطقياً ان يطلق عليها (الحماسة) مع مايستنبطه المصطلح من الدعوة الى القتال والحث على الاخذ بالتأثر وغيرها من دلالات ، مع ان المصطلح عاود الظهور فيما بعد مرات عديدة ومنها في القرن التاسع عشر الميلادي في (الحماسة القرشية) .

2- لكل من المصنفين شخصيته، فالاربلي شاعر محدث ميل الى الاشعار المُحدثة سواء كانت لمجايليه أو لشعراء قريبين من عصره ، واستشهد بالعديد من أمثلة الفنون المعربة مثل الموشح والدوبيت والموالي واثى عليها في كتابه ، فيما كان الذوق المحافظ واضحاً عند العبيدي نظراً لثقافته الدينية ، ولم يتطرق أبداً للفنون المعربة وإن لم يخل كتابه من شيء من الاشعار المعاصرة .

3- لاتعوز الاربلي الرؤية النقدية ، فقد نثر اراءه النقدية (التقليدية) على صفحات تنكرته وأهمها مايتعلق بالسرقات الشعرية ، بينما يكتفي العبيدي بالاختيار وليس له من بُد نقدي سوى مااورده في مقدمة تنكرته، وقد انحصر جهده في النقل عن الحماسات الثلاث وماوقع له في الدواوين العباسية وبيتمة الثعالبي ، والمعروف ان الاختيار جهد نقدي ضمني يدل على صاحبه .

4- يكثر الاربلي من الاختيار المكثف عبر الابيات المفردة والمقطوعات الشعرية الصغيرة ذات البيتين او الثلاث ابيات ليسهل عليه بيان مواطن التناص، ويميل العبيدي الى الاختيارات الطويلة التي يقطعها حرفياً من قصائد كاملة .

5- يلفت النظر ان الكتابين يشيخان النظر عن شاعر كبير له وزنه في مدونة الشعر العربي وهو بشار بن برد ، فلا يرد له في التذكرة الفخرية غير بيتين فقط ، وثلاث ابيات في التذكرة السعدية، واذا كنا نقدر ان الذوق المحافظ هو مكنم اغفال العبيدي لشعر بشار، فلا نعرف سبب اغفال الاربلي له، واذا كان بشار مورد اتفاق فإن شاعرا أخر شكل مادة للخلاف بين التذكريتين وهو ابن الرومي، فقد وردت اشعاره كثيرا في التذكرة الفخرية، بينما ورد له بيتان فقط في التذكرة السعدية نقلا عن بيتمة الثعالبي ، ويصدق هذا الواقع على شاعر كبير أخر هو ابو العلاء المعري، فقد وردت اشعاره مرارا في التذكرة الفخرية بينما لم يرد له أي ذكر في التذكرة السعدية، ومن هنا نرى بعد الشُفة بين توجهات التذكريتين .

6- يجتمع الاربلي مع العبيدي في الاعجاب ببعض الشعراء المتأخرين مثل الحسام الحاجري والبهاء زهير ، ويبدو ان قريصهما انتشرا كثيرا في الحواضر العربية وصادف اعجاب الاوساط الأدبية في القرن السابع ومابعده .

7- تغفل التذكرتان شعر المغاربة والاندلسيين، فلا نكاد نقع على شيء ذي خطر لأدباء الاندلس ، غير اربع أبيات لابن هانئ في التذكرة الفخرية، ومثلها في السعدية، واختيارين لشاعرين مغمورين هما ابو الحسن علي بن حمزة وأبو بحر صفوان بن أدريس في التذكرة السعدية، ويلوح هنا هذه النظرة القاصرة التي ترى أسبقية الشعر المشرقي وتقدمه وفحولة شعرائه، وقصور الشعر المغربي والاندلسي وتبعيته للشعر المشرقي .

8- لم يتبع الاربلي منهجاً ثابتاً في ترتيب الاختيارات الشعرية، وهو بهذا أقرب الى طريقة كتب الامالي، وغايته في هذا بيان المعاني المتداولة، بينما يمكن أن نلمح منهجاً للبيدي في أبواب تذكرته يتمثل في ايراد اختيارات الحماسات الثلاث وهي حماسة ابي تمام ويليها حماسة ابن فارس ويختمها بحماسة العسكري ، ثم يتبع ذلك الاختيار من الدواوين وبيتمة الثعالبي، وهو منهج دأب عليه في فصول كثيرة مثل باب الحماسة والحكم والنسيب والمدح والثناء والهجاء، بينما وجدنا أبواباً اخرى تبدأ بالدواوين مباشرة مثل باب الاخوانيات والتعازي والتنهائي حيث لاتحوي الحماسات هذه الابواب، وكان الغالب في ذلك الابتداء بدواوين الشعراء العباسيين ، وقد دأب على حرث دواوين بعض الشعراء العباسيين الكبار، واختيار كل ماورد فيها وحسب موضوع كل باب ، فقد استفرد مثلاً جُل ديوان ابي تمام فلا يكاد يخلو باب من ايراد اشعاره ، وكان ينقل عن الديوان حسب الترتيب الهجائي للقوافي بمعنى أنه يبدأ النقل من أول الديوان الى آخره، وكذلك الحال مع النحري وإن كان بصورة أقل، أما أبي نواس والمتنبي وأبي فراس فكان ينقل عنهم دون ترتيب هجائي، أما الشعراء الذين لم يكن لهم دواوين فكان يلجأ الى بيتمة الثعالبي وبرزهم ابو الفتح البستي والقاضي الجرجاني وابي بكر الخوارزمي، وكثيرا ماكانت اختيارات البيدي - خارج الحماسات - تتبع التدرج التاريخي ، فيبدأ مثلاً بأبي تمام فالنحري ثم المتنبي.

* نتائج البحث

- 1- شاع مصطلح (التذكرة) كثيرا في عنوانات كتب الحديث النبوي والنحو والأدب والطب والحيوان وغيرها من صنوف التأليف والتصنيف، وهو بمعنى الوعظ والتذكير .
- 2- هناك الكثير من كتب التذاكر الأدبية، وأشهرها التذكرة الحمدونية التي جمعت بين الاختيارات الشعرية والنثرية، بينما اختصت التذكرتان الفخرية والسعدية بالاختيارات الشعرية، فهما يسيران على نهج المفضليات والاصمعيات والحماسات .
- 3- يختلف منهج المُصنفين الى حد بعيد، فالاربلي في التذكرة الفخرية يميل الى الاشعار المعاصرة له والقريبة الى عصره ، ويميل البيدي - خارج الحماسات - الى الشعر العباسي .
- 4- للاربلي اراء نقدية واطلاع كبير على التراث الشعري وترجم ذلك في الاختيار الشعري والمفاضلة بين الاشعار وبيان التناس فيما بينها، أما البيدي فتكمن رؤيته في الاختيار فقط .
- 5- تكمن الاهمية الجوهرية للتذكرة السعدية في احتفاظها بمئات الاختيارات الواردة في حماستي ابي هلال العسكري وابن فارس، وهما حماستان مفقودتان، مايفتح المجال لرسم صورة تقريبية لهما ، ويمكن القول ان الحماسة العسكرية أقرب الى روحية حماسة أبي تمام، أما الحماسة المحدثه فحاولت الابتعاد ما امكن عن حماسة أبي تمام .

المصادر

- ابراهيم بن يحيى الغزي. (2008). *الديوان*. دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.
- ابو الحسين أحمد ابن فارس. (1979) *معجم مقاييس اللغة*. القاهرة: دار الفكر .
- ابو منصور عبد الملك الثعالبي . (1983) *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابو منصور موهوب الجواليقي . 1998 *حماسة أبي تمام برواية الجواليقي*. بيروت: دار الكتب العلمية .
- ابو هلال العسكري. (1985). *جمهرة الامثال*. بيروت ودمشق: دار الجيل ودار الفكر .
- احمد بن الحسين المتنبّي . (1986) *شرح ديوان المتنبّي لعبد الرحمن البرقوقي*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- احمد بن محمد ابن خلكان. (1978) *وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان*. بيروت: دار صادر.
- الصاحب بهاء الدين الاربلي. (2004) *التنكرة الفخرية*. دمشق: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع.
- البهاء زهير ابو الفضل. (1982) *الديوان*. القاهرة دار المعارف .
- جرير بن حرزة بن عطية (1982) *الديوان* دار بيروت للطباعة والنشر.
- حاجي خليفة (1999) *كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون*. بيروت: دار احياء التراث العربي .
- خليل بن ابيك الصفدي ، و محمد بن شاکر الكتبي. (1991). *الوافي بالوفيات*. بيروت: دار صادر .
- د. عباس هاني الجراح. (2023) *مقالات نقدية فاحصة في كتب التراث*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- د. عز الدين اسماعيل. (1977) *المصادر الادبية واللغوية في التراث العربي*. القاهرة: مكتبة غريب.
- عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي (1965). *تلخيص مجمع الأداب في معجم الانقلاب*. القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- عبد الكريم توفيق العبود. (1976). *الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد*. بغداد: منشورات وزارة الاعلام .
- عبد الله عبد الرحيم عسيلان. (1978). *حماسة أبي تمام وشروحها*. القاهرة: دار احياء الكتب العربية.
- محمد بن الحسن ابن حمدون. (1996). *التنكرة الحمدونية*. بيروت: در صادر.
- محمد بن الحسين الشريف الرضي. (1949) *شرح ديوان الشريف الرضي*. القاهرة: دار احياء الكتب العربية.
- عيسى بن سنجر الحاجري. (2003) *الديوان*. عمان: شركة المدينة لاعمال المطابع.
- محمد بن شاکر الكتبي. (1974) *فوات الوفيات*. بيروت: دار صادر.
- محمد بن عبد الرحمن العبيدي. (2001) *التنكرة السعدية في الاشعار العربية*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- مروة عبد الخالق بدري. (2017). *التنكرة الأدبية دراسة في المصطلح*. مجلة القادسية في الاداب والعلوم التربوية .

References

- Al-'Abudi, 'A. T. (1976). *Al-shi'r al-Arabi fi al-Iraq min suqut al-Salajiqqa hatta suqut Baghdad* [Arabic poetry in Iraq from the fall of the Seljuks to the fall of Baghdad]. Baghdad: Ministry of Information Publications.
- Al-'Arbali, S. B. D. (2004). *Al-tadhkira al-fakhriya* [The honorary memorandum]. Damascus: Dar al-Bashair for Printing, Publishing, and Distribution.
- Al-'Asilah, 'A. A. R. (1978). *Hamasa Abi Tammam wa shuruhuha* [Abu Tammam's Hamasa and its commentaries]. Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiya.
- Al-'Askari, A. H. (1985). *Jamharat al-amthal* [The collection of proverbs]. Beirut & Damascus: Dar al-Jil & Dar al-Fikr.
- Al-'Ubaydi, M. B. 'A. R. (2001). *Al-tadhkira al-Sa'diya fi al-ash'ar al-Arabiya* [The Sa'di memorandum on Arabic poems]. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiya.
- Al-Badri, M. 'A. K. (2017). Al-tadhkira al-adabiya: Dirasa fi al-mustalah [The literary memorandum: A study in terminology]. *Al-Qadisiyah Journal in Arts and Educational Sciences*.
- Al-Ghazzi, I. B. Y. (2008). *Al-Diwan* [The collected poems]. Dubai: Juma Al Majid Center for Culture and Heritage.
- Al-Hajiri, 'I. B. S. (2003). *Al-Diwan* [The collected poems]. Amman: Al-Madina Printing Press Company.
- Al-Hamduni, M. B. H. (1996). *Al-tadhkira al-Hamduniya* [The Hamdunid memorandum]. Beirut: Dar Sader.
- Al-Jarakh, A. H. (2023). *Maqalat naqdiyya fahisa fi kutub al-turath* [Critical and investigative essays on heritage books]. Baghdad: Dar al-Shu'un al-Thaqafiya al-'Amma.
- Al-Jawaliqi, A. M. M. (1998). *Hamasa Abi Tammam bi-riwayat al-Jawaliqi* [Abu Tammam's Hamasa as narrated by Al-Jawaliqi]. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiya.
- Al-Katibi, M. B. S. (1974). *Fawat al-wafayat* [The omissions from the obituaries]. Beirut: Dar Sader.
- Al-Mutanabbi, A. B. H. (1986). *Sharh diwan al-Mutanabbi li-Abd al-Rahman al-Barquqi* [Commentary on Al-Mutanabbi's Diwan by Abd al-Rahman al-Barquqi]. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi.
- Al-Radi, M. B. H. S. (1949). *Sharh diwan al-Sharif al-Radi* [Commentary on the Diwan of Al-Sharif al-Radi]. Cairo: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiya.
- Al-Safadi, K. B. A., & Al-Katibi, M. B. S. (1991). *Al-wafi bi-al-wafayat* [The complete book of obituaries]. Beirut: Dar Sader.
- Al-Tha'alibi, A. M. A. M. (1983). *Yatimat al-dahr fi mahasin ahl al-'asr* [The unique pearl of the age on the merits of the people of the era]. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiya.
- Al-Zuhayr, B. A. F. (1982). *Al-Diwan* [The collected poems]. Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Hajji Khalifa. (1999). *Kashf al-zunun 'an asami al-kutub wa-al-funun* [The removal of doubt from the names of books and arts]. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
- Ibn al-Futi, 'A. B. A. (1965). *Talkhis majma' al-adab fi mu'jam al-alqab* [Summary of the collection of literature in the dictionary of titles]. Cairo: Ministry of Culture and National Guidance.
- Ibn Fars, A. H. A. (1979). *Mu'jam maqayis al-lugha* [A dictionary of language standards]. Cairo: Dar al-Fikr.
- Ibn Khallikan, A. B. M. (1978). *Wafayat al-a'yan wa-anba' abna' al-zaman* [Obituaries of eminent men and the history of the sons of the epoch]. Beirut: Dar Sader.
- Ismail, E. D. (1977). *Al-masadir al-adabiya wa-al-lughawiya fi al-turath al-Arabi* [Literary and linguistic sources in Arabic heritage]. Cairo: Maktabat Gharib.
- Jarir, B. H. B. 'A. (1982). *Al-Diwan* [The collected poems]. Beirut: Dar Beirut for Printing and Publishing.